

اقرأ...

نسبها أثناء استعارته ، وبالشدة دهشة صاحب الكتاب حينما أقسم له صاحبه جهد أيمانه أنه لم يفتح الكتاب ولم يقرأ منه سوى عنوانه .. فقد شغلته عنه بعض الأعمال ! . ولم يلق عليه صديقه بالطبع هذا السؤال : كيف إذن مدحت الكتاب وأطنبت في فائدته وقيمه الفنية ؟ ..

والأدهى من ذلك أن بعض الناس يكرهون القراءة كراهية التحريم ، ومنهم من يراها ضرباً من العبث الذي لا معنى له ، إلا أن تكون القراءة مثوماً يقي من الأرق ويعجل الرقاد . . أما قيمة ما يقرأ وفائدته فهذا مالا يفكر فيه ، لأنه ليس في حاجة إلى ما يجهد عقله الذي جعله وقفاً على المنفعة المادية ، طيلة ما كتب له في الحياة . . على أن شراً من أولئك وهؤلاء فئة أخرى لا ترى في القراءة أية فائدة بل العكس ترى فيها قتلاً للوقت الثمين ، ومدعاة للخمول والكسل .

أيها القارئ . . يجب أن تقرأ ، وأن تنتقي ما تقرأ ، وتجد عقلك في التفكير فيما قرأت ، فإن القراءة دون إعمال الفكر لغو فارغ ، ونظم لقراءتك وقتاً معيناً تتذوق فيه ما عصره لك المفكرون ، وحاسب عقلك فيما وعى ، ولا تشغله بالقشور وهو أسى ما وهبك الله إذ جعله طريقك إلى معرفته . وكون لنفسك فكرة خاصة مستقلة تناضل من أجلها وتدافع عنها لكيلا يذوب رأيك فيما تطلع عليه من آراء ، وكن حراً في التفكير ، ولكن في الحدود التي تتطلبها الأخلاق القويمة ، والعقيدة السامية . والرأي السديد ، واحذر أن تؤمن على كل ما تقرأ ، فإن من تقرأ لهم عرضة للأهواء ، والمشارب والأخطاء ، واعلم أن لك عقلاً كعقلهم تستطيع به — على الأقل — أن تستبين وجه الحق فيما يقولون ؟

كلنا يحب أن يقرأ ما يجود به قرائح العلماء والشعراء ، وكلنا يود أن يتسم بميسم القارئ الذي يجهد في غذاء عقله وتحسين ذوقه ورقى مداركه ، إلا أن بعضنا يقرأ ما يقرأ ليعرف الناس أنه من القراء وليسعرهم أنه من المتأدبين بينما تجده في الواقع لا يدرك ما يقرأ ، وقد لا يقرأ شيئاً مما يحتفظ به من مؤلفات قيمة جمعها للزينة والمباهاة . .

حدثني صديق لي قال : يحكى أن أحدهم استعار من صديق له كتاباً من خيرة ما في خزينة الأدب العربي ، وبعد أمد طويل أرجعه إليه . فلما سأله صاحب الكتاب عنه أشاد في مدحه وأطنبت في قيمته الأدبية وفائدته الجمّة ، وبعد أسابيع عنت لصاحب الكتاب مراجعة فيه وفيما كان يتصفح استرعى انتباهه سقوط بعض أوراق منه ، فرجع إلى صديقه الذي استعاره منه ، رجوه البحث عن الأوراق التي سقطت من الكتاب ، علما بوجوده بين كتبه ،

الزوجة — دون سوء نية!! ها ها... الآن أدركت السر . لوزدت يا أبا زهير لزاد السقا . . إنك لصادق فيما تقول . فقد بدرت من الساقى اليوم نحوى بادرة لم أكن أنتظرها منه ، وقد عجبت لفعلته على خلاف ما كنت أظن به من كرم الأخلاق والطهر والعفة . . إن الله لبالمرصاد يا أبا زهير . . خذها من قريب . . واعتبر فالحياة كلها عبر . . لقد دفع السقاء ما دفعك حين حاولت الاعتداء على عفاف هذه المرأة ، ألا تعلم أن عفة الإنسان حصانة له يطمئن بها على نفسه وذريته وذويه . . إن العبث بشرف الغير سيئة لا تغفر . . هذا درس ، يا أبا زهير ، أمليته في الانحطاط الذي يشجع بعض النفوس على ارتكاب ما لا تحمد عقباه ؟